التَّناص القرآني في شعر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة التميميّ السعديّ (327 – 405هـ)

د. عـودة محمد الغيالين

مشرف اللغة العربية في وزارة التربية والتعليم الأردنيّة

البريد الإلكترونيّ: odehaljbour@yahoo.com.ph

الملخص

يهدف هذا البحث إلى استشراف ظاهرة التأثر بالقرآن الكريم ودلالاتها في شعر ابن نباتة السعدي من خلال تقنية التَّناص التي تُعَدّ من أبرز التقنيات الفنية التي أولاها النقاد أهمية بالغة في العصر الحديث، فجاءت هذه الدراسة لتطبيق هذه النظريّة على ديوان الشاعر، وقدرته في تمثّل النصوص القرآنيّة الشريفة وتوظيفها في نصّه الشعريّ، حيث احتوى شعره نصوصاً قرآنيّة كثيرة متنوعة، تداخلت مع نصوصه الشعريّة وأغراضه المتنوعة، فعمقت هذه التقاطعات الرؤية للحدث، وساعدت في تشكيل البناء الفني للقصيدة، كما تُظْهِر هذه الدراسة قدرة الشاعر وبراعته في نقل الألفاظ والتراكيب والأفكار والمعاني من القرآن الكريم وإعادة صياغتها وصهرها في شعره . وفي ضوء هذه الدراسة توصل الباحث إلى:أنّ ابن نباتة السعدي في تناصاته الدينيّة أظهر ثقافة واسعة فكانت من الروافد الرئيسة في شعره، ويظهر ذلك بجلبه الألفاظ والتراكيب القرآنيّة واستحضار معانيها وإعادة صياغتها، فقد جعل من تلك التَّناصات القرآنيّة لوحة فنية تعبّر عن آرائه التي يستدعيها؛ ليدلل بها على فلسفته في الحياة.

الكلمات الدالة: القرآن الكريم، ابن نباتة السعدي، التَّناص، الشعر العباسي.

Abstract

This research aims to explore the phenomenon of being influenced by the Noble Qur'an and its implications in the poetry of Ibn Nabatah al-Saadi through the intertextual technique, which is considered one of the most important technical techniques that critics have attached great importance in the modern era. And employing it in his poetic text, as his poetry contained many diverse Quranic texts, which interfered with his poetic texts and various purposes, and these intersections deepened the vision of the event and helped in forming the artistic structure of the poem, as this study shows the poet's ability and ingenuity in transmitting words, compositions, ideas and meanings of the Holy Qur'an and restoring Formulate it and fuse it into his poetry. In light of this study, the researcher concluded: Ibn Nabatah al-Saadi, in his religious interactions, showed a wide culture, which was one of the main tributaries of his poetry, and this is evident by bringing Qur'anic words and compositions, evoking their meanings and reformulating them. To demonstrate his philosophy in life.

Key words: The Noble Qur'an, Ibn Nabatat al-Saadi, Tanas, Abbasid poetry.

المقدمة

يسعى هذا البحث إلى دراسة التَّناص القرآني في شعر ابن نباتة السعدي، ورصد مواطنه، وبيان قدرة الشاعر على قراءة النصوص ومدى استفادته منها في تطوير نصوصه وتجديدها وصياغتها صياغة تناسب المقام الذي وردت فيه، فالتَّناص وجد منذ وجد البشر، لذلك لا يستطيع أحد أن يعدَّه عيباً أو وصمة عار يوصم بها الشاعر أو الكاتب، بل إنه مهارة يستغلها صاحبها للتعبير عن مكنونات نفسه.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من اتخاذها منهجاً جديداً لدراسة ديوان ابن نباتة السعدي، فقد أخضعت نصوصه التراثية لنظرية نقدية حديثة لإبراز جمالياتها.

وتنقل هذه الدراسة ثقافة ابن نباتة السعدي والقدرة على توظيفها في سياقات جديدة تثري نصوصه في جوانبها الدلاليّة والمعنوية. وتعكس هذه الدراسة أيضا أثر الانفتاح على الدراسات الغربية وإمكانية تطبيقها على النصوص العربية.

وجاء الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائيّ الوصفيّ، الذي أوجب النظر المعمّق في ديوان ابن نباتة السعدي لمعرفة أغراضه الشعريّة وما تحويه من لغة وأساليب.

وقد تطلبت الدراسة نظرة ثاقبة بغية التوقف على مواطن تلاقحه مع النصوص القرآنيّة الشريفة، وبيان الأثر الذي خلفته تلك النصوص في شعره.

مدخل منهجي:

يُعدّ التَّناص من النظريات النقدية الحديثة، التي تنظر إلى النصّ على أنّه مزيج مجموعة نصوص، فهو يحاول هدم انعزال النص وأحاديته، وإبراز التعددية التي تغنيه وتزيده ثراء، وأنّه خليط من المعاني والأفكار التي قيلت قبله أو عاصرته، وأنّ مؤلفه أعاد صياغة ألفاظه ومعانيه بصورة مبتكرة.

فالنصّ الأدبي كائن حي يعيش ضمن مجموعة من الكائنات (النصوص)، فلا يمكن له التفرد والعزلة عنها، إذ لا بدّ له من التفاعل معها بشكل أو بآخر مقيما بذلك علاقات متعددة "فالنصوص مدينة للنصوص الأخرى أكثر مما تدين لمبدعها"[1]، فالأدب ليس مجرد "حصيلة عمل فردي معزول، بل كان دائما نتاج علاقات متشابكة ومتنوعة تنسجها الأجناس الأدبية على مرّ العصور بما تحمله من أبعاد دلالية وثقافية"[2] وهذا ما يؤكد قول إيغلتون بأنّ "كل كلمة، أو عبارة أو مقطع هو إعادة تشغيل لكتابات أخرى سبقت العمل الفردي أو أحاطت به"[3]. فالنص لا يولد من العدم، ولا يظل ساكنا على ما ولد عليه، فهو "بمنزلة بصلة ضخمة لا ينتهي تقشيرها"[4] وبما أنّ النصوص متوالدة، تطلّب ذلك التجديد الحتمي في المعنى واللفظ والصياغة وإلا كانت نقولات جافة لا حياة فيها ولا حركة، بالتوسع في الدلالات والإشارات،

1 شاندلر، دانييل، التَّناص، ترجمة إدريس الرضواني، مجلة علامات، ع 4، المغرب، 2008، ص130.

2 موزاي، ليلي بيرون، التَّناص النقدي، ترجمة سعيد بن الهاني، مجلة نوافذ، ع 34، ديسيمبر 2005، ص55.

3 إيغلتون، تيري، نظرية الأدب، ترجمة ثائر ديب، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق 1995، ص 236.

4 ماضي، شكري، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 183.

فكل نصّ يقع في "نقطة التقاء عدد من النصوص، الذي هو في الوقت نفسه إعادة قراءة (لها) وتثبيت (لها) وتكثيف (لها) وانتقال (منها) وتعميق (لها)"[1].

وتعد البلغارية **جوليا كريستيفا** أول من تبلور لديها هذا المصطلح في كتابها (نص الرواية: مقاربة سيميائية لبنية خطابية متحولة) عام 1970م، وعرّفته بأنّه "ذلك التداخل النصي الذي يُنتج داخل النص الواحد بالنسبة للذات العارفة، فالتَّناص هو المفهوم الوحيد الذي سيكون المؤشر على الطريقة التي يقرأ بها نص التاريخ ويتداخل معه"[2].

وقد أفادت كريستيفا من الإرهاصات المتمثلة في جهود السيميولوجيين وعلى رأسهم ميخائيل باختين الذي يُعَد "أول مَن استعمل مفهوم التَّناص، فأثار اهتمام الباحثين في الغرب بحيوية الإجراءات التي تقوم عليها الدراسات المقارنة التي تتضمنه"[3] ، ففي كتابه الماركسية وفلسفة اللغة يرى أنّ الإنتاج اللغوي راجع "إلى حقل العبارات المستخدمة في مجتمع ما، وفي فترة خاصة من تاريخه، فالقائل أو الكاتب عندما يتكلم أو يكتب يتحرك ضمن الخطابات الموجودة قبلا. هذا النشاط الموجه بالتفاعل الكلامي والخطابي يمكن اختصاره ضمن مفهوم الحوارية"[4]، فباختين استخدم مصطلح الحوارية مقابل مصطلح التَّناص مدللا بذلك على تقاطع النصوص والملفوظات في النص الروائي الواحد، فالحوارية لديه أن يدخل "فعلان لفظيان وتعبيران اثنان، في نوع خاص من العلاقة الدلالية التي ندعوها نحن علاقة حوارية. والعلاقات الحوارية هي علاقات دلالية بين جميع التعبيرات التي تقع ضمن دائرة التواصل اللفظي"[5]، وهو بذلك يؤكد تفاعل النصوص وتشاركها مع بعضها بعضا، مشيرا إلى ولادة هذا المصطلح الجديد (التَّناص).

وبالرغم من تلك الجهود الحثيثة إلا إنّ التَّناص شكّل إشكالية كبيرة منذ ولادته حتى إن "كريستيفا نفسها غير راضية عن هذا المصطلح بسبب اختلاطه بتلك المصطلحات القديمة، وهي تفضل عليه مصطلح النقل أو التحول، كما توضح ذلك في كتابها ثورة اللغة الشعريّة الصادر عام 1974م، ولكنها وجدته قد شاع شيوعا كبيرا فمضت في استخدامها له على الرغم من تحفظها عليه"[6].

ولمصطلح التَّناص جذورٌ عربية أصيلة وإن أخذت مُسميات ودلالات مختلفة، **كالسرقات، والمعارضات الشعريّة، والمناقضات، والاقتباسات، والتضمينات، والإشارات، والتلميحات، والتوليدات.**

---

1 البقاعي، محمد، دراسات في النص والتَّناصية، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط 1، 1998، ص 63.

2 المرتجى، أنور، سيميائية النص الأدبي، المغرب،1987م، ص313.

3 كيوان، عبد العاطي، التَّناص القرآني في شعر أمل دنقل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1998، ص15.

4 ترو، عبد الوهاب، تفسير وتطبيق مفهوم التَّناص في الخطاب النقدي المعاصر، مجلة الفكر العربي المعاصر ع60-61، 1989، ص77

5 تودروف، تزفيتان، المبدأ الحواري، دراسة في فكر ميخائيل باختين، ترجمة: فخري صالح، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) بغداد، العراق، ط1، 1992، ص 122.

6 انظر: حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص361.

أمّا حديثا فقد غزا مصطلح التَّناص الوسط العربي كغزو غيره من النظريات الغربية مع بداية الثمانينات من القرن الماضي، فتلقاه النقاد بالدرس والتحليل ومن أبرزهم على سبيل الذكر لا الحصر عبدالله الغذامي، وعبد الملك مرتاض، ومحمد مفتاح، ومحمد بنيس، وأحمد الزعبي.

استعار **عبدالله الغذامي** مصطلح تداخل النصوص بديلا عن مصطلح التَّناص الذي يرى فيه بأنّه أمر لا بدّ منه "وذلك لأنّ العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تماما مثل الكائن البشري، فهو لا يأتي من فراغ، كما أنّه لا يُفضي إلى فراغ، إنّه نتاج أدبي لغوي لكلّ ما سبقه من موروث أدبي وهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه"[1] فهذا التداخل يقضي بتلازم النصوص على مرّ العصور ليدوم نسلها وبقاؤها، لذا فإن "تداخل النصوص هو من المفهومات الأساسية في قراءة الأدب وتحليله، بما يعني أني أتعامل مع النص على أنّه بنية مفتوحة على الماضي، مثلما أنه وجود حاضر يتحرك نحو المستقبل، وهذا يغاير وينهض فكرة البنية المغلقة (الآنية)"[2].

ويعرّف **عبد الملك مرتاض** التَّناص في مواقع متعددة في مقالته الكتابة من موقع العدم فيرى أنّ التَّناصية هي "شبكة العلاقات النصيّة التي تتمّ بوسائل قراءة نصوص أو سماعها وربما حتى كتابتها، إذا كثيرا ما تكون تناصية داخلية بحيث ينقل مدبج النص صوراً سابقة من نفسه قصداً أو عن غير قصد"[3]. ويؤكد مرتاض أنّ عملية تداخل النصوص ضرورية حتمية "فكلّ نص نجد فيه بالضرورة نصوصا أخرى، ولكن تحت أشكال مختلفة معظمها لا مرئي وغير مباشر. . . فالتَّناص إذن إنما هو حقل واسع للصياغات المجهولة الصاحب والتي قلّما نستطيع معرفتها بدقة ويقين"[4]، فهو "حدوث علاقة تفاعلية بين نصّ سابق ونص حاضر، لإنتاج نص لاحق"[5].

يرى **محمد مفتاح** التَّناص بأنّه "تعالق– الدخول في علاقة– نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"[6]، فيُلحَظ من ذلك أن عنده كيفيات للتناص وهي: المعارضة والمعارضة الساخرة والسرقة؛ فالمعارضة تعني وجود أسلوب يُقتدى به، أما المعارضة الساخرة التي تدل على قلب الوظيفة أي يصبح الخطاب الجدي هزليا والخطاب الهزلي جديا، أما السرقة فهي النقل والمحاكاة[7].

أما **محمد بنيس** فقد تعرض لمصطلح التَّناص في كتابه (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب) وأطلق عليه النص الغائب، ويرى أنّ "النص الشعريّ هو بنية لغوية متميزة ليست منفصلة عن العلاقات الخارجية بالنصوص الأخرى، وهذه النصوص الأخرى هي ما يسميها بالنصّ الغائب ... ويرى أن النص كشبكة

---

1 الغذامي، عبد الله، ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية)، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط2، 1992، ص111.

2 المرجع السابق، ص 113.

3 مرتاض، عبد الملك، الكتابة من موقع العدم (مساءلات حول نظرية الكتابة)، كتاب الرياض، ع 60 – 61، 1999 ، ص401.

4 مرتاض، عبد الملك، الكتابة من موقع العدم، ص57.

5 مرتاض، عبد الملك، فكرة السرقات الأدبية ونظرية التَّناص، مجلة علامات، ج1، مجلد1، مايو 1991، ص82.

6 مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التَّنا)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط 3، 1992، ص121.

7 مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، ص121.

تلتقي فيها عدة نصوص، وهي نصوص لا تقف عند حدّ النص الشعريّ بالضرورة؛ لأنها حصيلة نصوص يصعب تحديدها، إذ يختلط فيها الحديث بالقديم، والعلمي بالأدبي، واليومي بالخاص، والذاتي بالموضوعي"[1].

ويقدم **أحمد الزعبي** التَّناص في صورة مبسطة سلسة، فيرى أنّه "في أبسط صورة يعني أن يتضمّن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل"[2]، فقد تضمن هذا التعريف بعضا من أفرع التَّناص كالاقتباس والتضمين وغيرها ، ويبين الزعبي وظيفة التَّناص بقوله: "والتَّناص نصوص سابقة تستحضر في النص الحاضر لوظيفة معنوية أو فنية أو أسلوبية وقد تكون هذه النصوص تاريخية أو دينية أو أسطورية، تعمّق رؤية الكاتب وتدعم طروحاته ومواقفه في النص الحالي، وقد يكون التَّناص أسلوبيا أو بنائيا أو إيقاعيا"[3].

أما موضوع التَّناص الديني ـ نقطة البحث ـ فهو من الموضوعات التي تستهوي الباحث لا سيما أنّ الشعراء في مختلف العصور عمدوا إلى التداخل مع الموروث الديني، ولعل التفاعل مع القرآن الكريم من أبرز تلك الصور؛ نظرا للأهمية والمكانة التي يتبوؤنها، ذلك أنّ التعالق مع القرآن الكريم شعريا "له هدف أدبي جمالي، حيث إنّ أسلوب القرآن هو الأسلوب الأمثل للغة العربية، واتخاذ بعض صوره وأساليبه نموذجاً يثري الصياغة الأدبية ويكسبها رونقا وجمالا"[4].

فالقرآن الكريم ـ منذ نزوله إلى يومنا هذا ـ مصدً رئيس للخطباء والشعراء والقصّاص، يأخذون منه ألفاظه وأساليبه ويتشرّبون معانيه ودلالاته، حتى كوّن نتاجاً مميزا في ميدان النّثر والشّعر بالاقتباس وأنواع التّضمين المتعددة، ولتوظيف النصوص الدينية عند الشعراء أهمية كبيرة؛ لما تضفيه تلك الاستدعاءات من إضافة مزيد من الرونق والقوة على تلك النصوص وإعطائها تأثيرات خاصة في نفس المتلقيّ، وتعكس تلك التَّناصات مصداقية وواقعية على النص الشعر.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا مؤلَّف أبي منصور الثّعالبي "الاقتباس مِن القُرآن الكريم" الذي يتحدث فيه عن أنواع الاقتباس القرآني للشعراء والخطباء والمتكلمين من القرآن فيقول: "وإنّما قصارى المُتحلّين بالبلاغة والحاطبين في حَبل البَراعة أن يَقْتبسوا من ألفاظه ومعانيه في أنواع مَقَاصدهم أو يستشهدوا ويتمثّلوا به في فنون موادّهم ومصادرهم، فيكتسي كلامهم بذلك الاقتباس معرضا ما لِحُسنه غاية، ومأخذا

1 بنيس، محمد، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب– مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة بيروت، ط1، 1979، ص251.

2 الزعبي، أحمد، التَّناص نظريا وتطبيقيا – مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية في رواية رؤيا لهاشم غرايبة وقصيدة راية القلب لإبراهيم نصر الله– مكتبة الكتاني، إربد– الأردن، ط1، 1995، ص9.

3 الزعبي، أحمد، الشاعر الغاضب (محمود درويش) دلالات اللغة وإشاراتها وإحالاتها، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ودار الكندي للنشر، إربد– الأردن، ط1، 1995، ص60.

4 الغباري، عوض، دراسات في أدب مصر الإسلامية دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص181.

ما لرونقه نهاية ويَكسب حلاوة وطلاوة ما فيها إلّا معسولة الجملة والتّفصيل، ويستفيد جلالةً وفخامةً ليس فيها إلا مقبولة الغرّة والتحجيل"[1].

ويُقصد بالتَّناص الديني "تداخل نصوص دينية مختارة من القران الكريم أو الحديث الشريف أو الخطب أو الأخبار الدينية مع النصّ الأصلي للقصيدة بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الشعريّ وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معا"[2]. وسيتخصص هذا البحث على تناصات ابن نباته السعدي مع القرآن الكريم، مع الإشارة إلى نوعين من التَّناصات الدينية، هما:

النوع الأول: التَّناص المباشرة باستخدام ألفاظ وتراكيب أو أساليب دالة على تأثر الشاعر بالنص القرآني.

النوع الثاني: التَّناص غير المباشر ويلمح لمحاً بالإشارة إلى معنى الآية الكريمة؛ إذ يقوم الشاعر بتوظيف معنى النص القرآني داخل النص الشعريّ وهذا يتطلب مزيدا من الجهد والتأني وإعمال للفكر لاستخلاصه من تلك النصوص وبيان فائدته وأهميته.

ويعد شعر ابن نباته السعدي[3] من النماذج الجيدة لتطبيق نظرية التَّناص القرآني عليه فهو من "فحول شعراء العصر، وآحادهم، وصدور مجيديهم، وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافي وملكوا رق المعاني، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام... وأرق من نسيم الأسحار "[4]

وقد نهل ابن نباته السعدي كغيره من الشعراء من القرآن الكريم متخذا منه ثروة جمالية وفنية لصقل نصوصه الشعريّة، إذ تلاحقت الأفكار داخل القصيدة الواحدة من خلال توظيف التَّناص القرآني، مما ساعد على آليات التجديد حيث التحول من المعنى ثم الارتداد إليه مرة ثانية، وأتى التَّناص في شعر الشاعر في مواضع معينة في بعض قصائد المديح والرثاء.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ظاهرة **التَّناص القرآني** "تنفرد بها الثقافة العربية وتؤثر في حركية عملية تشابك العلاقات التَّناصية فيها، فلا تعرف الثقافات الأخرى مثل هذا النص الأب، النص المثال، النص المسيطر، النص المطلق، النص المقدس...."[5].

---

1 الثعالبي، عبد الملك بن محمد، الاقتباس من القرآن الكريم، تحقيق: ابتسام الصّفار ومجاهد مصطفى دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1992، ص28.

2 الزعبي، أحمد، التَّناص نظريا وتطبيقيا، مرجع سابق، ص 11.

3 **لترجمته انظر:**

* الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (المتوفى: 429هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق، مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط1، 1983، 447/2.

* الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 18 / 326، 2000.

* الزر كلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 4/ 23، 2002.

4 يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، مرجع سابق، 447/2

5 التَّناص وإشارات العمل الأدبي: د. صبري حافظ: 27، مجلة البلاغة المقارنة ألف، العدد الرابع، 1984م.

محاور التَّناص القرآني في شعر ابن نباته السعدي:

ظهر التَّناص القرآني عند ابن نباته السعدي في موضوعات متعددة في ديوانه، وكان كغيره من الشعراء الذين نهلوا من القرآن الكريم في دواوينهم الشعريّة "لما يمثّله القرآن الكريم من ثراء وعطاء متجددين للفكر والشعور"[1]، بالإضافة إلى أنّ استحضار الخطاب القرآني في الخطاب الشعريّ يعني إعطاء مصداقية وحضور حقيقي لدلالات النصوص الشعريّة انطلاقا من مصداقية ذلك الخطاب القرآني وقدسيته، وجاء التَّناص في شعره على عدة محاور، هي:

أولاً: التَّناص المفرد:

الذي يعني الإفادة من المفردات القرآنيّة وتوظيفها في النصّ الشعريّ بما يخدم الغرض الذي يسعى الشاعر للتعبير عنه، وجاءت هذه المفردات بصور متنوعة ما بين صيغ فعلية واسمية، ومن ذلك **قوله:**[2]

أَبرُّ من المستأثرينَ بزادِهِم لهم حالةٌ وللمؤاكِلِ حالُ

فالشاعر هنا يمدح القادر بالله • فيرى فيه جودا يصعب لغيره الوصول إليه، وجاءت مرجعية الشاعر هنا مرجعية قرآنيّة ارتكزت على اتجاه سيكولوجي يرتبط بالمجتمع ، فالشاعر يرى ممدوحه أكثر جوداً وإيثاراً في ماله، وليثبّت هذا المعنى استحضر قوله تعالى: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾**[3] ، فالنصّ القرآني "يصف الأنصار الذين يعطون المهاجرين أموالهم إيثاراً لهم بها على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم" [4]، فابن نباته السعدي تقاطع مع هذا النص ووظفه في نصّه ليؤكد طيب نفس ممدوحه.

ومن التَّناصات المفردة أيضا **قوله:**[5]

وَعُطّلَ الأَدبُ المحرومُ وانتزعتْ منه دعائمُ كانتْ ذاتَ أَوتادِ

فقد أخذ ابن نباته السعدي معنى بيته من قوله تعالى:**﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾** [6] ، فالنص القرآني يشير إلى فرعون وجنوده الذين يشدّون له أمره، فهم الدعامة الرئيسة له، والشاعر

---

1 جربوع، عزة، التَّناص مع القرآن الكريم في الشعر المعاصر، مجلة فكر وإبداع، ع 13، 2004.

2 ابن نباته السعدي، أبو نصر عبد العزيز بن عمر، الديوان، تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، القاهرة، 313/2، 1974.

• القادر بالله (336 – 422 هـ) هو أحمد بن إسحاق بن المقتدر، أبو العباس، القادر بالله: الخليفة العباسي، أمير المؤمنين، ولي الخلافة سنة 381هـ وطالت أيامه، كان حازما مطاعا، حليما كريما.

3 سورة الحشر، الآية 9.

4 أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 ،23 / 284،2000.

5 الديوان: 166/2.

6 سورة الفجر، الآية 10-11.

هنا يرثي الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد، ويؤكد أنّ الأدب قد توقف لرحيله، فقد كان للأدب راعي ونصير، فنجد أن الشاعر استغل لفظة (أَوتادِ)، واستخدمها وأفاد من توظيف القرآن لها، غير أنّه ذهب بالمعنى بعيدا، فكما أن جنود فرعون داعمون ومثبتون له، فكذلك أبو القاسم من داعمي الأدب ورواده.

ويقول:[1]

لو زيدَ عندكَ عُمرُ الدّهْرِ في عُمُري ما كان إلاّ كلمْحِ الطَرفِ في القِصَرِ

نجد الشاعر قد تناص مع قوله تعالى ﴿ **وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**﴾[2]، فالشاعر يرى أن العيش بجانب ممدوحه أبي العلاء صاعد بن ثابت يمرّ بسرعة كبيرة، بل نجده لا يشعر بالوقت في جواره من شدة السعادة، ولكي يعبّر الشاعر عن ممدوحه بهذا الوصف جلب الآية القرآنيّة التي يتحدث الله فيها عن قدرته "فالله تعالى يُوجِد ما أمره وقال له: كن كسرعة اللمح بالبصر لا يُبطئ ولا يتأخر"[3]، فابن نباتة مزج النص الشعريّ بالنص القرآني عن طريق نقل الصياغة من دائرة سرعة قدرة الله إلى دائرة الثناء على الممدوح.

ومن تلك التَّناصات أخيرا **قوله:**[4]

يَتَلظى تَوقداً وذكاءً واضطلاعاً بالحزمِ والتدبيرِ

وهذه القصيدة يمدح بها **بهاء الدولة وولده الأمير أبا منصور**، ويُعبّر فيهما عن شدة إعجابه بممدوحه الذي أظهر ذكاءً واضحاً وحزماً وعزماً لا يتمتع بهما أي إنسان، فأتى التَّناص القرآني موضحاً ذلك ومثبتا له في قوله تعالى ﴿ **فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى** ﴾[5] ، فالنصّ القرآني يدل على أن النار "تَتَوَهَّج وتَتَوَقَّدُ" دلالة على شدة حرارتها ولهيبها، حيث استعان الشاعر بهذه اللفظة **(يَتَلظى)** ليدلل بها على شدة ذكاء ممدوحه وشدة حزمه وعزمه، فنجد أنّ ابن نباتة السعدي امتصّ المعنى وأسقطه على نصّه.

---

1 الديوان: 1 / 386.

2 سورة القمر، الآية 50.

3 انظر تفسير الطبري:22 / 607.

4 الديوان: 179/2.

5 سورة الليل، الآية 14.

ثانيا: التَّناص التركيبي:

ويُظهر هذا المحور **التَّناص** من خلال التراكيب القرآنيّة، فهذا النوع من التَّناصات قائم على تركيب يستعين به الشاعر للتعبير عن أفكاره، ومن ذلك **قول** الشاعر:[1]

يا عضدَ الدَّوْلَةِ لا واحدٌ غيرَكَ بعدَ الصمدِ الواحِدِ

فقد تناص هذا البيت الشعريّ وبشكل مباشر مع قوله سبحانه وتعالى: **﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾** [2]، فالتَّناص قائم بين النصّين على استحضار الشاعر للنص القرآني الذي يشير إلى أنّ الله لا شبيه له، ولا نظير ولا صاحبة، ولا ولد ولا شريك[3]، ولإدراك الشاعر لهذه الآية لجأ إلى التقاطع معها ليدلل على الممدوح الذي ساد عزمه ولم يترك شيئا لغيره.

ومنها قوله:[4]

سَقى اللهُ أيامَ الصّبابةِ والخَبْلِ ودَهْراً رُمِينا فيهِ بالحَدَقِ النُّجْلِ

وصحبة فتيانٍ كأنّ وجوهَهمْ وأخلاقَهم صُبحٌ تنفّسَ عن وَبْلِ

ويبدو أنه من الواضح استغلال الشاعر للتركيب في قوله تعالى: **﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾** [5]، فهو يتذكر أيام الشباب وما فيها من لحظات سعيدة، ومن تلك الذكريات أصحابه الذين يشبه وجوههم الجميلة وأخلاقهم العالية بالصبح الذي يشرق بعد نزول المطر عليه، فيكون من أجمل الصباحات وأروعها لشدة جماله، وبهذا يبدو جليا قدرة الشاعر على التصرف في التراكيب القرآنيّة وتوظيفها في نصه في سياق جديد ودلالة جديدة.

ومن ذلك **قوله:**[6]

قفا يا صاحبي فخبّراني عن الأهواءِ والزمنِ القديمِ

---

1 الديوان: 10/2.

2 سورة الإخلاص.

3 انظر تفسير القرطبي، 244/20.

4 الديوان: 1 / 302.

5 سورة التكوير، الآية 18.

6 الديوان:447/1.

بعهدِ اللهِ هل أَزَلٌ وعِرْضٌ على مَتْنِ الطّريقِ المُستقيمِ

فالصراط المستقيم طريق الجنة، وهذا يتناص مع قوله تعالى **﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾**[1]، فاللفظة أتت بمعناها ومدلولها في النص الشعريّ كما وردت في النص القرآني، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه الامتصاص، حيث امتص المعنى العام وأطلق لفظة (المُستقيمِ) فعبّرت عن المعنى المراد، ثم دعم تلك اللفظة بقوله (الطّريقِ) لتحل محلّ اللفظة القرآنيّة (الصراط) وهي تصبّ في معنى المدلول اللفظي لكلمة (الطريق) في الأبيات التي يصف فيها نفسه.

ويقول: [2]

تَدارَكَ الحوباء منهُ فَلَحِقْ تنفسٌ في الصعداءِ مُستَرَقْ

ففي هذا البيت يبدو التَّناص جليا، فقد تقاطع ابن نباته السعدي مع قوله تعالى **﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾**[3]، فقد شبه الله تعالى الكافر في نفوره من الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه كمن يصعد إلى السماء.[4] وكما أن ابن آدم لا يستطيع أن يبلغ السماء، فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه، حتى يدخله الله فيه، فكيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما، وهذا مثل ضربه الله لقلب الكافر في شدة تضيقه إياه عن وصول الإيمان إليه، فيقول: فمثله في امتناعه من قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه؛ لأنه ليس في وسعه وطاقته[5]، فتُلْحَظ الثقافة القرآنيّة في شعر ابن نباته السعدي التي يوظفها في شعره ، فقد استغل هذه الآية في معرض رثاء الخليفة أبي الفتح ابن الطائع لله، ورثاء والدته فاطمة، ليعكس الحالة النفسية التي يعانيها.

ثالثا: التَّناص غير المباشر: التَّناص غير المباشر هو الذي يوحي بالفكرة دون التصريح بها أو الإشارة إلى النصّ الذي يحملها، ومن ذلك على سبيل المثال **قوله:**[6]

---

1 سورة الفاتحة، الآية 6.

2 الديوان: 2/ 354.

3 سورة الأنعام، الآية 125.

4 الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر ، ط1 ، المجلد 4 ، ج7 ، ص54 ، 2001.

5 انظر تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، ج 2، 1999، ص175.

6 الديوان: 1 / 401.

أنتَ الذي تُنسَبُ الدُنْيا وعالمُها إلى عُلاه ولا يُعْزى إلى نسَبِ

حاشاكَ أنْ تدّعيكَ العُربُ واحدَها يا مَن ثَرى قدمَيهِ طينةُ العربِ

فإنْ يكنْ لكَ وجهٌ مثلَ أوْجُهِهم عند العيانِ فإنّ الصُفرَ كالذّهبِ

وإنْ يكنْ لكَ نُطقٌ مثلُ نطقِهِمُ فليس مثلُ كلامِ اللهِ في الكُتبِ

ففي هذه الأبيات يمدح ابن نباتة سيف الدولة الحمداني، ويُعبّر فيها عن حبه لممدوحه وإعجابه به، ويدل على ذلك قوله: **(أنتَ الذي تُنسَبُ الدُنْيا وعالمُها إلى عُلاه)**، وكذلك قوله: **(قدمَيهِ طينةُ العربِ)**، وأتى التَّناص القرآني موضّحا ذلك في البيت الأخير، فقد تناص مع قوله تعالى: **﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾** [1] وقوله تعالى: **﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾** [2] وقد استعان الشاعر بهذا المعنى ليبرهن على مدى صدق ممدوحه وتميزه عن غيره في حديثه. وهذا يؤكد أنّ النص "وفق مفهوم التَّناص بلا حدود، إنّه حيوي دينامي متجدد متغيّر من خلال تشابكاته مع النصوص الأخرى"[3].

ومن التَّناصات أيضا قصيدته التي يرثي فيها ابن عمه الذي قتله حمدان بن ناصر الدولة، فختمها بقوله:[4]

وما شُوْوِرْتُ في خَلقي فأرضى بما تَقضي عليَّ وما تَشاءُ

ولو خيّرتنا ما اخترتُ عَيْشاً يكونُ له فَناءٌ وانقِضاءُ

نُعَلَّلُ بالدّواءِ إذا مَرِضْنا وهل يَشفى من الموتِ الدّواءُ

ونختارُ الطبيبَ وهل طبيبٌ يؤخِّرُ ما يُقَدِّمُهُ القَضاءُ

وما أنْفاسُنا إلاّ حِسابٌ وما حركاتُنا إلاّ فَناءُ

---

1 سورة النساء، الآية 87.

2 سورة النساء، الآية 122.

3 علي، ناصر، مفهوم التَّناص في اللغة، المجلة الثقافية، ع 61، كانون الثاني– نيسان، 2004، ص47.

4 الديوان: 1 / 610.

حيث تناص في هذه الأبيات مع عدة آيات مما يدل على تأثره بالقرآن الكريم، فتقاطع مع قوله تعالى﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [1] فالله تعالى في هذه الآية "يخبر بأنّه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن"[2]، فالشاعر لجأ إلى هذا النص القرآني معزيّا نفساً بأنه لا يستطيع كبح جماح الدنيا وآلامها، فقد وجد نفسه فيها دون إرادته، فلو كان له رأي في وجوده لرفض البقاء فيها، ونجده لا يكتفي بهذه التعزية والمواساة بل يعزيها بأن الموت حقيقة لكل مخلوق، فإذا تعددت أسبابه فهو واحد، وهو بذلك يتناص مع قوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[4] ، وقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[5]، فهذه النصوص القرآنيّة تؤكد بأنه إذا جاء أجل الإنسان فإنّ ذلك يكون بوقت وقدر محددين، وأنّ الموت نازل بكل الناس فهي سنة الله تعالى في خلقه. فتناص الشاعر معها معزيا نفسه في مصيبته.

ومن التَّناصات غير المباشرة قوله:[6]

نُسِخَتْ به سيرُ الملوكِ كما ... نُسِخَتْ بملةِ أَحمدَ الملكُ

يمدح الشعر الخليفة القادر بالله، فيرى فيه أنّه لا مثيل له ولا نظير من الملوك والخلفاء لما له من فضل ومكانة كبيرة، فكما أنّ الإسلام نسخ الديانات السابقة فكذلك هذا الممدوح قد نسخ بطولات مَنْ قبله لعلوّه وارتفاع شانه عليهم، ففي هذا البيت تناص مع قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ ﴾[8]، فالله عز وجل يؤكد ختم الرسالات السماوية السابقة وسيادة الشريعة الإسلامية، وليؤكد الشاعر معنى نصّه الشعريّ لجأ إلى هذين النصيين القرآنيين.

ويقول أيضا:[9]

كلُّ امرئ بسطَ الإلهُ يمينَه ... في الناسِ يقسِمُ قِسمَةَ المستأثِرِ

إلا أَميرَ المؤمنينَ فانَّه ... يلقاكَ باطنُ غيبهِ كالظَّاهِرِ

---

1 الشورى، الآية 49.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، 7 / 216.

3 سورة الرحمن، الآية 26.

4 سورة النحل، الآية 61.

5 سورة العنكبوت، الآية 57.

6 الديوان: 2 / 280.

7 سورة آل عمران، الآية 19.

8 سورة المائدة، الآية 3.

9 الديوان: 2 / 408.

فقد تناص ابن نباته السعدي في البيت الثاني مع قوله تعالى: ﴿ **يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ**﴾ [1]، فهنا يتحدث الشاعر ويظهر فضائل ممدوحه القادر بالله، فكلّ من أعطاه الله فضلا من الناس وأراد البذل والعطاء فإنه يميّز في عطائه بينهم، إلا ممدوحه الذي لا يحابي بين الناس ويظهر ما يبطن، فاستعان الشاعر بهذا النص القرآني وحوّره بما يتلاءم مع موضوعه. "وهذا هو التَّناص الذي يعمد إلى التحوير والتغيير ليمنح النص الجديد حياته، وهذا تكنيك يقوم على التفاعل بين النصوص وليس إعادتها كما في الأصل"[2]

ومنها **قوله:**[3]

لا يركننّ إلى الدنيا بمنيته ... فتىً يَحوطُ صوابَ الرأي من زَلَهْ

يَهوى الخِلافَ فلو قالَ الحِمامُ له ... أهْوى النُفوسَ لما سالتْ على أسَلِهْ

هذا يؤملُ أمراً ليس يُدرِكُهُ ... من دهرِهِ بتمنّيه ولا حِيَلِهْ

وذاكَ يُدركُ أمراً ليس يأمُلُهُ ... فما يبلغُ إنساناً إلى أمَلِهْ

فقد تناص مع قوله تعالى: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[5]، فالنص القرآني الأول يتحدث عن لذّات الدنيا وشهواتها وما فيها من متاع زائل، والنص القرآني الآخر يتحدث عن عدم معرفة الإنسان ماذا يعمل في غده، وفي أي أرض تكون منيته، وقد تناص الشاعر مع هاتين الآيتين ليشير إلى أن الدنيا متقلبة ونعيمها زائل، وأن النفس البشرية لا تعلم ماذا سيحدث لها في المستقبل من خير أو شر، فلم يجد ابن نباته السعدي أفضل من تناصه مع هذه النصوص القرآنيّة لصياغة فكرته في هذه الأبيات التي يرثي فيها أبا علي الأهوازي الخارج على سيف الدولة.

---

1 سورة آل عمران، الآية 154.

2 ربابعة، موسى، التَّناص في نماذج الشعر العربي الحديث، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع الأردن، 2000، ص35.

3 الديوان: 1 /244- 245.

4 سورة آل عمران، الآية 185، الحديد، الآية 20.

5 سورة لقمان، الآية 34.

ويقول ابن نباته السعدي:[1]

مَنْ أَحسنَ السعيَ فيما شاءَ فهو لهُ الرزقُ بالسعي ثم الرزق بالقَسَمِ

فقد تناص مع قوله تعالى: **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾**[2]، وقوله تعالى: **﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾** [3]، **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[4]، وقوله تعالى: **﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾**[5]، وقوله تعالى: **﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [6]، فاستطاع ابن نباته السعدي بهذا التَّناص الذي توصّل إليه باستحضار الآيات القرآنيّة أن يكثف المعنى الذي يريده، بعد أن شعر بأنّ آية واحدة لا تكفي بتعميق دلالته التي يريدها، فهو هنا يقدم معتقد ثابت لدى المسلمين، وذلك بالسعي في الحياة وضرورة العمل والكسب، ويؤكد حقيقة أنّ الرزق مقسوم للإنسان قبل مجيئه إلى هذه الدنيا، وكأن الشاعر لم يجد أفضل من هذه النصوص القرآنيّة للتعبير عن ما يؤمن به.

رابعا: التَّناص السلبيّ:

التَّناص السلبي هو التَّناص المخالف للمعنى الوارد في النص الأصلي، ومن ذلك **قول الشاعر:** [7]

وأكدارُ المشاربِ ليسَ تَشْفي غليلَ فتىً يَعافُ السّلسَبيلا

يستخدم **ابن** نُباتة المفردة القرآنيّة **(السّلسَبيل)** ويوظفها في شعره؛ للتعبير عن الذاتية المتمثلة في الأنفة والعزة من خلال الاتكاء على النص القرآني وذلك **بالتَّناص** مع قوله تعالى: **﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾**[8]، فالنص القرآني يتحدث عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم، وما أسبغ عليهم من الفضل العميم، فهم يشربون من عين **السلسبيل** وهو الماء "الْخَالِصُ الصَّافِي مِنَ القَذَى والكدَر"[9]، والنص الشعريّ الذي جاء في سياق مدح الشاعر لسيف الدولة الحمداني، يتحدث فيه عن شخصيته التي ترفض السلسبيل، فجاء هذا التَّناص تناصاً سلبياً أي مخالفا للمعنى الوارد في النص الأصيل، فالآية تبيّن أنّ السلسبيل هو غاية المؤمن يوم القيامة، ومحتوى البيت

---

1 الديوان: 578/1.

2 سورة الأنعام، الآية 11.

3 سورة الملك، الآية 15.

4 سورة العنكبوت، الآية 60.

5 سورة الشورى، الآية.

6 سورة النور، الآية 38.

7 الديوان: 250/1.

8 سورة الإنسان، الآية 17-18.

9 ابن منظور، جمال الدين لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ط3، 340/11.

يتضمن رفض الشاعر له، وبذلك يبدو التضاد جليّاً بين المعنى الأصلي والمعنى الجديد الذي أراده الشاعر من الآية الكريمة، وبذلك تظهر براعة الشاعر في توجيه المعنى الديني الوجهة التي يريدها، في سياق لغوي ودلالي جديدين.

وتناص ابن نباته مع القران الكريم تناصا سلبيّا في البيت الشعريّ:[1]

فيا رُبَّ ماءٍ قد ذَعَرْتُ وحوشَهُ وأطيارَهُ والصبحُ لم يَتَنفّسِ

يفخر الشاعر بنفسه، فقد ألحق الذعر والخوف في قلوب الوحوش والطيور في عتمة الليل، وقد استخدم ابن نباته النفي بـ (لم) فحول معناه ضد الآيات الكريمة: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾** [2] فالآية تبين "أنّ القسم بالليل مدبر، وبالنهار مقبل"[3] ، ولكنه حوّر المعنى لإثبات شجاعته وإقدامه، لا سيما أنّ الظلام يشكّل حالة قلق لدى الإنسان.

ومن التّناصات السلبية أيضا قوله:[4]

ولم أرَ مثلَ الخمرِ للهمّ شافياً إذا هي لم تلقَ الغيورَ المحامِيا

ففي هذا البيت يتناص الشاعر سلبا مع قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[5]، فابن نباتة يذهب إلى استباحة الخمر وجعله وسيلة لذهاب الهمّ، ويُلحظ في الآية الكريمة أنها تشير إلى أن الخمر إثم ونتن كرهه الله ﷻ ، وبذا يبدو التضاد واضحا بين المعنى الأصلي والمعنى الجديد الذي يُريده الشاعر من الآية الكريمة.

رابعا: التَّناص والشخصيات القرآنيّة:

استحضر **ابن نباتة السعدي** الشخصية القرآنيّة بصورة **نادرة**، وذلك في خدمة المعنى الذي يريده، ومن الشخصيات القرآنيّة البارزة التي استخدمها في شعره شخصية عاد حيث وظفها في ستة مواطن، ومن ذلك قوله:[6]

كَرَاكِرُ [1] جَمَّةٌ من آلِ حَمْدٍ وَرِثْنَ المجدَ قبلَ تُراثِ عَادِ

1 الديوان: 368/1.
2 سورة التكوير، 18.
3 انظر: تفسير الطبري، 161/24.
4 الديوان :1 / 559.
5 سورة المائدة، الآية 90.
6 الديوان: 2 / 50.

عمد الشاعر ابن نباتة السعدي إلى استحضار شخصية عاد في معرض مدحه لأبي علي الحسن بن حمد، فتناص مع قوله تعالى: **﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾**[2]، فالنصّ القرآني يشير إلى قوم عاد الذين "كانوا في غاية من قوة التركيب، والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدارة، والأموال والجنات والعيون، والأبناء والزروع والثمار، ويقيمون في البروج المشيدة، والبنيان المخلد"[3] كما يعتقدون، فتراثهم تراث عريق وقوتهم بالغة بدليل أنّ "الغلام من قوم عاد لا يحتلم حتى يبلغ مائتي سنة"[4]، ويظهر أن الشاعر قد تشرب معنى الآيات السابقة ووظفها في نصه، فممدوحه له مجد وتاريخ قبل وجود قوم عاد، مما يدلل على عظم هذا الإرث المتعاقب على حِقب زمنية طويلة، فاستغل ابن نباتة هذا التَّناص ليعمّق دلالته على صفاء ممدوحه.

الخاتمة

ونخلص من دراسة **التَّناص** القرآني في شعر **ابن نباتة السعدي** أنّه سار في تناصه على عدة محاور:

- استحضار المفردة القرآنيّة بلفظها ومدلولها.
- استحضار التراكيب القرآنيّة مع إجراء التغييرات التي تناسب النص الشعريّ.
- استخدام ما يوحي بالفكرة دون التصريح بها أو الإشارة إلى النص الذي يحملها، مما يدل على مخزونه الثقافي.
- استحضار المفردات والتراكيب ومخالفتها للمعنى الوارد في النص الأصلي مما يشير إلى مدى قدرته في تحوير المعنى والتصرف به.
- استحضار الشخصيات القرآنيّة وقصصها– بصورة نادرة– ولا سيما شخصية عاد وثمود.

كانت هذه محاولة متواضعة للوقوف على التَّناص القرآني في شعر ابن نُباتة السعدي.

---

1 كراكر: الصدور، ومعناه سادات القوم. انظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط 1، 1996 ، 1 / 315 .

2 سورة الشعراء، الآيات 123– 130.

3 انظر: تفسير ابن كثير 6 / 152 – 153.

4 الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي، سير السلف الصالحين، تحقيق: كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ص930.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001.
3. الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي، سير السلف الصالحين، تحقيق: كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
4. إيغلتون، تيري، نظرية الأدب، ترجمة ثائر ديب، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1995.
5. البقاعي، محمد، دراسات في النص والتَّناصية، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط 1، 1998.
6. ترو، عبد الوهاب، تفسير وتطبيق مفهوم التَّناص في الخطاب النقدي المعاصر، مجلة الفكر العربي المعاصر ع60-61، 1989.
7. التَّناص وإشارات العمل الأدبي: د. صبري حافظ: 27، مجلة البلاغة المقارنة ألف العدد الرابع 1984م.
8. تودروف، تزفيتان، المبدأ الحواري، دراسة في فكر ميخائيل باختين، ترجمة: فخري صالح، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) بغداد، العراق، ط1، 1992.
9. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (المتوفى: 429هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق، مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، ط1، 1983.
10. الثعالبي، عبد الملك بن محمد، الاقتباس من القرآن الكريم، تحقيق: ابتسام الصّفار ومجاهد مصطفى دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1992.
11. جربوع، عزة، التَّناص مع القرآن الكريم في الشعر المعاصر، مجلة فكر وإبداع، العدد 13، 2004
12. أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000.
13. حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية، عالم المعرفة، الكويت، 1998.
14. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ط2، 1995 م
15. ربابعة، موسى، التَّناص في نماذج الشعر العربي الحديث، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع الأردن، 2000.
16. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002
17. الزعبي، أحمد، الشاعر الغاضب (محمود درويش) دلالات اللغة وإشاراتها وإحالاتها، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ودار الكندي للنشر، اربد – الأردن، ط1، 1995.

18. الزعبي، أحمد، التَّناص نظريا وتطبيقيا – مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية في رواية رؤيا لهاشم غرايبة وقصيدة راية القلب لإبراهيم نصر الله– مكتبة الكتاني، إربد، ط1، 1995.
19. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط 1، 1996.
20. شاندلر، دانييل، التَّناص، ترجمة إدريس الرضواني، مجلة علامات، ع 4، المغرب، 2008.
21. الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 2001
22. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب– مقاربة بنيوية تكوينية، د. محمد بنيس، دار العودة بيروت ط1 1979.
23. علي، ناصر، مفهوم التَّناص في اللغة، المجلة الثقافية، العدد 61، كانون الثاني – نيسان، 2004
24. الغباري، عوض، دراسات في أدب مصر الإسلامية، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
25. الغذامي، عبدالله، ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظريّة)، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط2، 1992.
26. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999.
27. كيوان، عبد العاطي، التَّناص القرآني في شعر أمل دنقل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1998.
28. ماضي، شكري، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.
29. مرتاض، عبد الملك، فكرة السرقات الأدبية ونظرية التَّناص، مجلة علامات، ج1، مجلد1، مايو 1991.
30. مرتاض، عبد الملك، الكتابة من موقع العدم (مساءلات حول نظرية الكتابة)، كتاب الرياض، ع 60 – 61، 1999.
31. المرتجي، أنور، سيميائية النص الأدبي، المغرب،1987م.
32. مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعريّ (استراتيجية التَّناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط 3، 1992
33. ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ط3.
34. موزاي، ليلي بيرون، التَّناص النقدي، ترجمة سعيد بن الهاني، مجلة نوافذ، ع 34، ديسيمبر 2005.
35. ابن نباته السعدي، أبو نصر عبد العزيز بن عمر، الديوان، تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، القاهرة، 1974.